

خطبة بعنوان: أرذل العمر

يوم الجمعة: ١٤/١١/١٤٣٩ هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... نرى الشيخ الكبير والرجل الهرم احدودب ظهره، وضعف بصره، وتوكل على عصاه بعد أن خارت قواه، وفي صورة أخرى.. نراه طريح الفراش، ضعف سمعه وبصره وعقله في عودة إلى أرذل العمر ﴿لَيْكِي لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل:٧٠].

أخبر الله عز وجل عن مراحل الإنسان، وأطوار حياته فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَيْكِي لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل:٧٠]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّفِي الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج:٥] ففي هاتين الآيتين الكريمتين بين الله عز وجل أنه يرد من شاء من خلقه إل أرذل العمر، وهو أرذوه وأخسه، فتضعف قواه وينقص عقله.

أيها المسلمون... وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤] يعني في أتم خلقة من جهة حواسه وعقله وصورته ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين:٥] يعني إلى أرذل العمر.

أيها المسلمون... استعاذ النبي ﷺ من أرذل العمر، وطلب ذلك في أوقات الإجابة وفي صباحه، وعند إقبال نهاره، وإقبال ليله، فجاء عند البخاري أن النبي ﷺ كان يستعيد بذلك في دبر الصلاة، يعني في نهايتها، وقبل السلام منها فيقول: ((وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ)) وجاء عند أبي داوود والترمذي أن النبي ﷺ كان إذا أصبح وإذا أمسى

قال: **((رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر))** ومعنى سوء الكبر يعني كبر السن وما يلحق به من سقوط القوى ونقصان العقل.

أيها المسلمون... المؤمن المحافظ على أمر الله تعالى، الممثل لأمره ونهيه، يحفظ من أن يرد إلى أرذل العمر كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٤-٦]، ذكر ابن رجب رحمه الله: "أن سفينة حطت على شاطئ فوثب منها شيخ كبير وثبة شاب قوي، فقيل له في ذلك فقال: هذه أعضاء حفظناها في الصغر -يعني بطاعة الله- فحفظها الله عز وجل لنا في الكبر -يعني صحيحة سليمة-".

أيها المسلمون... والقرآن له بركة على أهله في حفظ عقولهم وصيانة حواسهم وأعضائهم، جاء عند الحاكم أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من قرأ القرآن لم يُرَدَّ إلى أرذل العمر". وجاء مثله عن عكرمة رضي الله عنه، وقال عبد الملك بن عمير إنه كان يقال: "إن أبقى الناس عقولاً هم قراء القرآن". وقال الشعبي رحمه الله: "من قرأ القرآن لم يخرف"، وقال الشنقيطي الإمام المفسر المعروف: "وقد تواتر عند الخاصة والعامة أن حافظ القرآن المداوم على تلاوته لا يصيبه خرف ولا هذيان".

أيها المسلمون... روى الترمذي أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول: **((اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي، وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي))** ومعنى قوله ﷺ **وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي** يعني أبق لي سمعي وبصري صحيحًا سليمًا حتى أموت على ذلك.

أيها المسلمون... إن المؤمن الناصح لنفسه هو الذي يطلب كمال الخلقة والصورة والقوى والحواس حتى يوافي ربه، فلا يحتاج إلى أحد من خلقه، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان والعمل الصالح وإدامة قراءة القرآن.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين...

اعلموا رحمكم الله أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملأنتكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائل عليماً ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.